الزاوية الطرقية في المغرب الأدنى
بين القرنين (٧ – ٩هـ / ١٣ – ١٥م)

إعداد الباحثة

خديجة عبد الله علي أبو سدرية

المقدمة:

تعتبر الزاوية الطرقية نوعا من أنواع الزوايا، وذلك لأن الزاوية انقسمت إلى ثلاثة أنواع: الزاوية البدائية، والزاوية التي تنتمي إلى ولي صالح، والزاوية الطرقية.

فالزاوية لم تظهر منذ البداية كمؤسسة دينية، وعلمية متكاملة، ومكتملة المباني، والوظائف، والتخصصات، بل مرت بمراحل جعلتها تتنوع من مرحلة لأخرى، حتى وصلت إلى الشكل المتكامل للمؤسسة المتعددة الوظائف، دينية، وتعليمية، وسياسية، واقتصادية، واجتماعية...إلخ.

فالزاوية بشكلها البدائي البسيط مكان مخصص للتعليم، وله مرافق، ولكن لا تبنى على ضريح، ولا تنسب إلى ولي أو طريقة صوفية ما، ولكن مع مرور الوقت يمكن أن تتحول لزاوية لولي، وذلك عندما تحولت دار الولي إلى زاوية، كنوع من التكريم له بعد مماته، أو أن تقام زاوية حول ضريحه، وقد استمرت ظاهرة الولي، وتفاعلت مع التيارات الصوفية، وتفاقم تعظيم الأولياء، وظهرت الأوراد والأذكار الخاصة بكل ولي وزاوية، وهذا كله سيلعب دورا كبيرا في بروز الطرق الصوفية بقوة في منطقة المغرب الأدنى، وكل هذا سيمهد لظهور نوع جديد من الزوايا، وهو الزاوية الطرقية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث والموضوع في كونه يدرس جانبا من الجوانب الحضارية من تاريخ المغرب العربي الإسلامي عامة، وتاريخ المغرب الأدنى خاصة، متمثل هذا الجانب في الزوايا، وتحديدا "الزاوية الطرقية".

كما سيبين لنا هذا البحث نوعا من الزوايا يعتبر أفضلها على الإطلاق، وتجاهلته الدراسات السابقة التي كانت تتناول الرباطات والزوايا ولكن بشكل عام، ولم تكن هناك دراسة متفردة متخصصة في هذا النوع من الزوايا.

ويوضح هذا البحث ماهية الزاوية الطرقية، وبداية ظهورها، وأدوارها الحضارية المختلفة، وخاصة في مجال نشر الإسلام، والتعليم الطرقي، وأيضا تأطيرها للتصوف كظاهرة فكرية جديدة وكعلم لا يقل شأنا عن باقي العلوم.

كذلك سيوضح لنا أسباب ظهور واستمرار بل ونجاح هذه الزاوية في البقاء حتى وقتنا الحالي، وكيف كانت أكثر الزوايا من حيث الإقبال عليها والانخراط فيها.

ومن الأمور التي توصل لها هذا البحث هو أنه يعرفنا على مداخل تطور الزاوية، وكيف أصبحت الزاوية البسيطة في تكوينها ووظائفها زاوية طرقية منظمة لها مرافقها الخاصة بها، والتي تخدم وظائفها المتعددة.

المنهج العلمي المستخدم في الدراسة:

استخدمت الباحثة في كتابة هذا البحث المنهج التاريخي والتحليلي، الذي يعتمد على سرد الأحداث والمعلومات، ثم تحليلها بطريقة موضوعية لاستخراج الحقائق التاريخية منها.

تبويب البحث وأقسامه:

تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة تناولت لمحة تاريخية عن الموضوع، وأهمية الدراسة، كذلك المنهج العلمي الذي اعتمدت عليه الباحثة، وأقسام البحث والتي كانت على النحو التالي:

أولا: تعريف الزاوية لغة.

ثانيا: تعريف الزاوية اصطلاحا.

ثالثا: الزاوية الطرقية.

من حيث:

١) تعريف الزاوية الطرقية.

٢) الأسباب التي أدت لبروز الزاوية الطرقية.

٣) مكونات الزاوية الطرقية وإطاراتها.

٤) علاقة الشيخ بالمريد وتأثر النظام الطرقي بالمؤثرات الخارجية.

واختتم هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث. ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي ساعدت على كتابته، وانقسمت لمصادر مطبوعة، ومراجع عربية، ومراجع معربة.

قبل التطرق إلى الزاوية الطرقية كنوع من أنواع الزوايا، لابد أن نعرف مضمون ومعنى الزاوية في حد ذاتها.

أولا: تعريف الزاوية لغة:

الزاوية كلمة تداولت بكثرة في الأوساط الدينية والعلمية خلال الفترة التاريخية من (ق٧-٩هـ/١٣-١٥م)، وعلى وجه التحديد خلال القرن (٨هـ/١٤م)، فما المقصود بالزاوية لغة واصطلاحا؟

يذكر ابن منظور[١] حول معنى الزاوية: "باب الزاي (زوى) الزي مصدر زوى الشيء يزويه زيا وزويا فانزوى، نحاه فتنحى. وزواه قبضه. وزويت الشيء: جمعته وقبضه. وفي الحديث: "إن الله تعالى زوى لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها" زويت لي الأرض:جمعت، ومنه دعاء السفر: وازو لنا البعيد "أي اجمعه واطوه، وزوى ما بين عينيه فانزوى: جمعه فاجتمع وقبضه، قال الأعشى:

يزيد يغض الطرف عندي كأنما زوى بين عينيه على المحاجم

فلا ينبسط ما بين عينيك ما انزوى ولا تلقني إلا وأنفك راغم

وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضاموا.

والزاوية واحدة الزوايا... قال أبو الهيثم: كل شيء تام فهو مربع كالبيت والأرض والدار والبساط له حدود أربعة، فإذا نصت منها ناحية فهو أزور مزوي... وزاوية البيت: ركنه، والجمع الزوايا، وتزوي صار فيها"[٢].

أما بالنسبة لمعنى الزاوية لدى الصحاح[٣] فقد اتفق مع لسان العرب في أن الزاوية واحدة الزوايا، وزويت الشيء: أي جمعته وقبضته، كما ذكر الصحاح الحديث، وأبيات الشعر التي وردت أيضا في لسان العرب، ولا داعي لذكرها ثانية، واختلف معه أو زاد عليه: إن الزي هو اللباس والهيئة، وأصله زوى. تقول منه: زيتيه، والقياس زويته. وإن ذو: اسم جبل بالعراق والزو: القدر يقال: قضى علينا وقدر... أيضا ذكر أن الزو: القرينان[٤].

---

(١) ابن منظور: من أبرز علماء اللغة، وله مؤلف ضخم سمى لسان العرب، وهو في عدة أجزاء مرتب حسب الحروف الأبجدية، ويعتبر أدق القواميس اللغوية وأكثرها شمولية.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين، القاهرة، دار الحديث، الشركة الدولية للطباعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م، المجلد الرابع، الأحرف ر ز س، ص٤٤١-٤٤٢.

(٣) الصحاح: من أبرز القواميس اللغوية، ألفه إسماعيل بن حماد الجوهري، وهو قاموس لغوي من ستة أجزاء، علما أنه يسمى بتاج اللغة وصحاح العربية.

(٤) إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الجزء السادس، ص٢٣٦٩.

ونحن هن ركزنا ورجعنا للسان العرب بالذات، لأنه أدق القواميس اللغوية، وأكثرها شمولية لما ورد في القواميس[٥] الأخرى.

علما أن جميعها أجمع واتفق على أن الزاوية تعني ركن البيت، وجمع الكلمة زوايا، وهي مشتقة من الفعل "زوى"، ومصدرها "الزي" ويعني التنحية والانطواء.

بعد أن تعرفنا على المعنى اللغوي للزاوية، فما هو يا ترى معناها الاصطلاحي؟

ثانيا: معنى الزاوية اصطلاحا:

وردت معاني اصطلاحية عددية للزاوية في المصادر والمراجع العربية، منها على سبيل المثال:

إن الزاوية: هي في الأصل ركن البناء، وكانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي... ثم أصبحت تطلق على المسجد الصغير أي المصلى، ولا يزال هذا المعنى مستمرا عند المسلمين في الشرق، ذلك أنهم يفرقون بينها وبين المسجد الذي يفوقها شأنا بطبيعة الحال[٦].

كما جاء أيضا أن الزاوية: هي بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، وهي تشبه الدير[٧] والمدرسة، وفيها يوجد غرفة للصلاة بها محراب، وضريح لأحد المرابطين أو الولي، ويعلو الضريح قبة، وبها أيضا غرفة مخصصة لتلاوة القرآن، ومكتب لتحفيظ القرآن، بالإضافة إلى غرف مخصصة للضيوف، والحجاج، والمسافرين، والطلبة، وهي تشبه الدير في العصور الوسطى في أوروبا، والتكية[٨] التي كانت تطلق على المنشآت الصوفية عند الفرس، الخانقا[٩] في المشرق الإسلامي، ومصطلح زاوية جاء في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي مرادفا للرابطة، أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي، ويعيش وسط تلاميذه ومريديه[١٠].

---

(٥) القواميس الأخرى المقصود بها: الصحاح وقد ورد ذكره، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، والمختار القاموس، والمصباح المنير... ورد معنى زاوية في مختار القاموس لطاهر أحمد الزاوي في ص٢٨٣، وهو لم يضف شيئا جديدا عن لسان العرب.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية (مادة زاوية)، ترجمة محمد ثابت وآخرين، بيروت، دار المعرفة، المجلد العاشر، ص٣١٣.

(٧) الدير: الدير خان النصارى جمع أديار. وما به ديار: أحد، الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، الجماهيرية، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٢-١٣٩٣هـ/١٩٨٣-١٩٨٤م، مطابع ماتيو كرومو، مدريد، ص٢٢.

(٨) التكية: ترجع الكلمة للفعل اتكأ، أي بمعنى استند، وهي لفظة تركية استخدمت في المشرق بكثرة، وهي تعني المكان الذي يجتمع فيه أهل الطرق الصوفية، وتقام فيها الأذكار، وتعتبر كالزاوية تضم في الغالب مسجدا صغيرا، وصحنا تحيط به حجرات في مقدمتها رواق، وأغلبها يحتوي على القبور في بلاد المشرق، وخاصة العراق، كما هو الحال في التكية الخالدية ببغداد، علما أن التكايا مزودة بميضأة وحمام ومطبخ، ومستلزمات لإقامة الغرباء والمريدين. سعدي إبراهيم الدراجي: زلتن دراسة في العمارة الإسلامية، الجماهيرية، منشورات القيادة الشعبية الاجتماعية، زليتن، الطبعة الأولى، ١٣٧١و.ر/٢٠٠٣م، ص١٠٠

(٩) الخانقاه: كلمة فارسية، قيل أصلها خانكاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك، وتعني دار الصوفية. محمد كرد علي: خطط الشام، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٣و.ر/١٩٨٣م، ج٦، ص١٣٠.

(١٠) دائرة المعارف الإسلامية، محمد ثابت وآخرون، مصدر سابق، ص٣١٣.

ويذكر أن الزوايا هي التي يطلق عليها في بلاد المشرق الربط[١١]، وتحديدا في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وكذلك الخوانق. أما في المغرب الإسلامي فكانت الزوايا هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين، وإطعام المحتاجين من الذين يقصدونها[١٢].

ومما يجدر الإشارة إليه فيما يتعلق بزوايا المشرق، أن ابن بطوطة ذكرها بلفظ رواق[١٣] أثناء زيارته لزاوية الشيخ أحمد الرفاعي[١٤] الواقعة قرب مدينة واسط بالعراق، عندما قال: "ووصلنا في ظهر اليوم الثاني إلى الرواق، وهو رباط عظيم فيه آلاف من الفقراء"[١٥].

أما بالنسبة للفظ "الخانقاه"، وهو مرادف للزاوية والرباط في بلاد المشرق، وهي كلمة فارسية يقصد بها دار الصوفية، وقد عرفت في مصر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وتحديدا في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي رتب فيها للفقراء أرزاقا معلومة[١٦].

كذلك عرفت الزاوية بأنها عبارة عن مجموعة من المريدين لها والمهتمين بالعلم ونشره، وهم الذين توفرت فيهم صفات العلم والحلم والصبر، وهم أناس منقطعون للعلم تعلما وتعليما، وللعبادة تاركين أمور الحرب، ومن شيمهم التمسك بسنة الرسول ρ واتباع سيرته حتى صارت لهم طبعا ومنهجا[١٧].

وقد ورد لدى محمد حجي صاحب كتاب الزاوية الدلائية أن الزاوية: "هي المكان المعد للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم"[١٨].

---

(١١) الربط: جمع رباط، ويعني الرابطة، وهي ملازمة ثغر العدو، والربط أو الرباطات هي مؤسسات مفتوحة يدخلها الفقهاء والصوفية. إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن ٨هـ/١٥م، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١و.ر/٢٠٠٠م، الجزء الثالث "التصوف"، ص٢٨-٢٩.

(١٢) محمد حسن العيدروس: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، ص٥٩٣.

(١٣) رواق: هو بيت كالفسطاط، أو سقف في مقدم البيت، جمعه أروقة، ورقا. والروقة: الجمال الرائق. والترويق: التصفية. الطاهر أحمد الزاوي: مختار القاموس، المرجع السابق، ص٢٦٧.

(١٤) أحمد الرفاعي: هو القطب الصوفي المشهور الذي عاش في العراق خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وترجم له ابن الساعي فقال: "ولي الله العارف بالله والزاهد القدوة السيد أحمد بن السيد علي بن الحسن الرفاعي، ولد سنة خمسمائة للهجرة" علي بن أنجب بن الساعي: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة السليمانية، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ص٤٥، وزاويته ما زالت قبلة الدراويش وأهل الطريقة لا زالوا يقيمون فيها الأذكار، ويلعبون بالنار وبالسيوف، وقد توسعت حتى أصبحت تستوعب أفواجا من المريدين الذين يؤمونها في بعض المناسبات الدينية، وقد شيدت بها القاعات والأروقة التي توفر الراحة للزوار.

(١٥) رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له وحققه الشيخ محمد عبد المنعم العريان، راجعه وأعد فهارسه مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، الجزء الأول، ص١٩٥.

(١٦) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار صادر للطباعة، ج٢، ص٤١٥.

(١٧) حسين سالم أبو شوشة باكير: الحالة الاجتماعية لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني ١٨٣٥-١٩١١م (دراسة وصفية)، بحث مقدم استكمالا لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير)، ١٩٩٦م، ص٩٦.

(١٨) محمد حجي: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ص٢٥.

وجاء أيضا أن الزاوية هي: "عبارة عن موضع للعبادة والجهاد، والاجتماع أو مظنة لهما، دائما أو غالبا أو قليلا"[١٩] [٢٠].

أما عند أهل التصوف فكانت تعني: الخلوة أو المكان الذي يختلون فيه بأنفسهم، أو مع مريديهم وتلاميذهم في ركن معين من المسجد لغرض العبادة أو الدراسة، وكان للخلوة عدة معاني، حيث أطلقت على اسم المكان الذي يختلي فيه الناسك المتعبد، والخلوة بمعنى العزلة عن الخلق، وكل ما يشوش على المتصوف عبادته وتبتله، اقتداء بالرسول ρ في خلوته في غار حراء، وكذلك الخلوة كانت تعني العزلة من النفس، ومن الأفكار إلا عن ذكر الله[٢١].

كما يمكن القول بأنها تعني المؤسسات الدينية التعليمية الخاصة بأهل التصوف، وهو المعنى الواسع لكلمة الزاوية[٢٢].

نلاحظ من خلال ما سبق ذكره أن الزاوية اختلفت مدلولاتها، وتعددت مسمياتها من فترة تاريخية إلى أخرى، ومن بلاد إلى أخرى، ويمكن أن نرتب المسميات حسب أقدميتها إلى: الرباط في منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ثم أصبحت الزاوية في بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وعلى وجه الخصوص في بلاد المغرب العربي الإسلامي، وظهر لفظ الخانقاه في المشرق الإسلامي، والتكية عند مسلمي فارس، والمنارة، وهو مصطلح معاصر وكان أكثر انتشارا في ليبيا.

وخلاصة القول حول معنى الزاوية فهي تلك المؤسسة، أو المكان الذي يجمع بين العلم والعبادة والتصوف معا، وفي الفترات التاريخية اللاحقة، ومع مرور الوقت أصبحت تعني عدة معاني، ومنها: مركز الحياة الدينية والروحية، والاقتصادية، والاجتماعية، أيضا مركز الوحدة القبلية أي ذات قيمة وصفة سياسية وإدارية، خاصة في المناطق النائية والريفية.

مما يجدر الإشارة إليه التساؤل التالي: هل اختلفت الزاوية في المدينة عن الزاوية في الريف أو البادية؟

أعتقد أن الزاوية في المدينة قد اختلفت عن الزاوية في الريف، وخاصة من الناحية المعمارية، ورغم أننا لسنا بصدد دراسة الزاوية من الناحية المعمارية والهندسية، إلا أنه يجدر بنا أن نشير إشارة بسيطة لمبنى الزاوية ومكوناته.

فإذا نظرنا للزاوية في المدن نجدها عبارة عن فناء مركزي يشبه أحيانا صحون المساجد ذات الطابع التقليدي، يشتمل هذا البناء على قاعة يلتئم فيها الإخوان لقراءة القرآن الكريم، وتلاوة للأذكار والأوراد، ولأداء الصلاة، والزاوية من ناحية الأثاث لا تختلف عن بيت الصلاة في

---

(١٩) بمعنى أن الزاوية كانت مخصصة للفقراء والفقيرات ممن يصومون ويصلون. انظر:
Vincent Monteil, Chronique de la Zaouiya d'Assa, in Melanges Mohammed El-Fasi, pp.81-89 l'eon, p.116.

(٢٠) محمد مفتاح: التيار الصوفي، ج١، ص٣٤.

(٢١) الشيخ أمحمد المنالي الزيادي (ت١٢٠٩هـ): سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، دراسة وتحقيق وتقديم نعيمة بنونة، وأحمد الشرقاوي، المغرب، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٧٦.

(٢٢) تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، طرابلس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٨م، ص٧٩.

المسجد، حيث لها محراب وفي الغالب يكون لها مئذنة، ويتبع القاعة المشار إليها حجرة مخصصة للدراسة تعرف "بالكتّاب"، وفيه يلقن الصبيان الأمور الدينية، ويدربون على حفظ القرآن الكريم، كما تجهز الزاوية بخلوات لإيواء التلاميذ الذين يفدون على الزاوية من المناطق النائية، وكانت إقامتهم فيها مجانا، ومجموعة هذه المباني تتكامل بالضريح، خاصة إذا كان مؤسس الزاوية شيخ من أحد المحسنين، ولا ننسى المخزن التابع للزاوية، والذي تخزن فيه قطع الأثاث والألواح التي يكتب عليها التلاميذ الآيات القرآنية، وأيضا تحوي الزاوية حجرة للضيوف وإيواء أبناء السبيل، أما الزاوية في البوادي فكانت عبارة عن حجرة واسعة ملحقة بالمسجد، وتستكمل بعدد من الخلوات لإيواء الطلبة[٢٣].

ثالثا: الزاوية الطرقية:

لقد كانت الزاوية في بداياتها بدائية بسيطة جدا في تكوينها، ومرت بمراحل جعلتها تتنوع من مرحلة لأخرى، حتى وصلت إلى المؤسسة الدينية، والعلمية المتكاملة فيما بعد، والزاوية الطرقية هنا يمكن أن نعتبرها مرحلة من هذه المراحل المذكورة، ونوعا رائدا من أنواع الزوايا.

يتبادر إلى أذهاننا في مستهل حديثنا عن الزاوية الطرقية، تساؤلا مهما تندرج تحته العديد من التساؤلات الأكثر أهمية، والتي سنوردها تباعا، وهذا التساؤل هو: ما المقصود بالزاوية الطرقية؟

تعني الزاوية الطرقية: "الطريقة"، وهي تجمع الإخوان، والزاوية هي الهيكل الاجتماعي المعبر عن مذهبهم، وهي الطريقة بما تشمله من طقوس[٢٤].

كما تعتبر الزاوية الطرقية فرعا لزاوية أم، وغالبا ما تجمع هذه الزاوية بين التصوف والتعليم، وهي بطبيعة الحال، تنتمي لطريقة صوفية ما، كالقادرية، والشاذلية، والعروسية، والسلامية[٢٥]، والزوايا الطرقية كثيرة الانتشار، وذلك راجع إلى تعدد وكثرة الطرق الصوفية نفسها، وهي تتواجد داخل التجمعات السكانية الكبرى، مما يولد نوعا من المنافسة بينها وبين الزوايا الأخرى، لأنها تستقطب العدد الكبير من الأهالي[٢٦].

إذا نظرنا للزاوية الطرقية من حيث البناء لوجدناها في أغلب الأحيان تحوي ضريحا لمؤسسها، وحجرة صغيرة يجتمع فيها أتباع الطريقة، ويقيمون فيها حلقات الذكر، بالإضافة إلى

---

(٢٣) غاسبري ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسين، بيروت، دار الجيل، طرابلس، دار الرواد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٩٣-٩٥.

(٢٤) عاصم محمد رزق: خانقاوات الصوفية في مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ص٢٨-٢٩، ١٥٥.

(٢٥) هذه طرق صوفية ظهرت في منطقة المغرب الأدنى، القادرية والشاذلية والعروسية في تونس، والسلامية في ليبيا، القادرية: نسبة إلى عبد القادر الجيلاني، والشاذلية: نسبة لأبي الحسن الشاذلي، والعروسية: نسبة لأحمد بن عروس، والسلامية: نسبة لعبد السلام الأسمر.

(٢٦) سعدي إبراهيم الدراجي: زليتن دراسة في العمارة الإسلامية، مرجع سابق، ص١٠٧.

المسجد، ومساكن للطلاب والزوار والمريدين، كذلك المرافق، وغالبا ما يكون فيها مجموعة من العلماء التابعين لتلك الطريقة، مهمتهم تكمن في إعطاء الدروس العلمية والوعظ والإرشاد[٢٧].

لقد اقترن بهذا النوع من الزوايا مصطلحات صوفية منها على سبيل المثال مصطلحي الطريق، والطريقة، فما المقصود بهما؟

ففي القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين كان معنى الطريق عبارة عن منهج النفس الأخلاقي يدير عمليا ضروب السلوك الفردي، وبعد القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أصبح عبارة عن جملة المراسيم، والتدبير الروحي المعمول به داخل الجماعات الإخوانية الإسلامية المختلفة، التي بدأت تظهر منذ ذلك الوقت[٢٨].

ظهر خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي لفظ طريق، الذي كان يطلق على مجموعة أفراد من الصوفية ينتسبون إلى شيخ محدد ومعين، ويخضعون معه لنظام دقيق في السلوك الروحي، ومادمنا قد عرفنا الطريق، يبقى أن نعرف هل كان للطريق درجات، ومراتب على السالك والمريد داخل الزاوية الطرقية أن يسلكها ويتعداها؟

إن مراتب الطريق أربع: مرتبة مرتبة التوبة، ومرتبة الاستقامة، ومرتبة التهذيب، ومرتبة التقريب، فالتوبة هي الأساس ثم تأتي الطاعة واجتناب المعاصي، والدعاء في جميع الحالات، أما التهذيب فهو أربعة أركان: الصمت، العزلة، الصوم، السهر، وبعد ذلك كله تأتي مرتبة التقريب التي يصل إليها المريد بعد دخوله الخلوة، ومداومته على الذكر، فيصبح بالتالي قريبا من الله عز وجل[٢٩].

أما الطريقة فقد تعددت الآراء حول تعريفها عند المتصوفة، سواء المتقدمين منهم أو المتأخرين، وحتى الباحثين في مجال التصوف، فهناك رأي يقول: إن الطريقة عند أهل الحقيقة عبارة عن مراسم الله سبحانه وتعالى وأحكامه التي لا رخصة فيها، والمختصة بالسالكين إلى الله عز وجل مع قطع المنازل والترقي والمقامات[٣٠].

أما بالنسبة للمتصوفة الأوائل فكان للطريقة عندهم مدلول خاص، وهي عندهم تتضمن الآداب والأخلاق والعقائد التي يتمسك بها طائفة الصوفية[٣١].

كما تعني أيضا عند القشيري: كلمة الطريق التي هي كما سبق الذكر منهج الإرشاد النفسي والخلقي الذي يربي به الشيخ مريده[٣٢].

---

(٢٧) علي محمد جهان: الحياة الثقافية بمصراتة أثناء الحكم العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١م)، الجماهيرية، مركز جهاد الليبيين، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٧م، ص١١٩.

(٢٨) عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها (الرفاعي – الجيلاني – البدوي – الشاذلي – الدسوقي)، القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م، ص٤٤-٤٥.

(٢٩) عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر، المرجع نفسه، ص٤٨.

(٣٠) السيد عبد الله بن علوي بن حسن العطاس: ظهور الحقائق في بيان الطرائق، مطبعة بكرازحستي، سنة ١٢١٣هـ، ص١٧.

(٣١) عامر النجار: مرجع سابق، ص٧٣.

كذلك عرفت الطريقة عند أهل التصوف بأنها السيرة المختصة بالمتصوفة السالكين إلى الله، فهي سفر إلى الله تعالى: "والسالك أو المريد هو المسافر فعلى المسافر أن يسلك طريق القوم، وأن يجتازها مرحلة بعد مرحلة"[٣٣].

فالطريقة اصطلاحا هي المنهج أو السبيل[٣٤].

ويمكن أن نضيف رأيا آخر، وهو أن الطريقة هي المعراج الروحي الذي يستهدف غاية مخصوصة يبدأ بها الصوفي رحلته هادفا للوصول إلى المعرفة، ونجد أن الطريقة قد تطورت معانيها، وانتقلت من مرحلة لأخرى، ففي البداية كانت مجموعة القواعد والرسوم التي يضعها المشائخ للمريد لبلوغ الغاية من التصوف، وبطبيعة الحال تتعدد الطرق الصوفية بتعدد المشائخ، ولكل طريقة مذهبها، وأساليب ذكرها، ورياضاتها الخاصة بها، وأورادها وآدابها، ثم أصبحت لفظة الطريقة عند مشائخ الطرق الصوفية كلمة تطلق على مجموعة من الأفراد المتصوفين الذين ينتسبون إلى شيخ معين، ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيون حياة جماعية داخل الزوايا، ويجتمعون في مناسبات معينة، ويعقدون مجالس العلم والذكر[٣٥].

وفي القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، أصبحت الطريقة عبارة عن العهد بين الشيخ ومريده على التوبة والاستقامة، والدخول في طريق الله، والعمل بآداب وأصول الطريقة، مع القيام بأوراد وأحزاب شيخ الطريقة في المواعيد التي يحددها له[٣٦].

نلاحظ من خلال تعريف كل من الطريق والطريقة، أنهم مصطلحان مترادفان، مع العلم أنهما قد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في العديد من الآيات القرآنية، وسنستدل بآية واحدة لكل كلمة، فمثلا للطريق: قال تعالى: {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ}[٣٧].

أما الطريقة فوردت في قوله تعالى: {وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا}[٣٨].

وعندما تجمع الكلمتان، فالطريق جمعها "طرق"، والطريقة جمعها "طرائق"، قال تعالى: {وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا}[٣٩].

([٣٢]) أبو القاسم عبد الكريم: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٤م، ص٣١٥.

([٣٣]) عامر النجار: مرجع سابق، ص٤٢-٤٣.

([٣٤]) راجع حول هذا المعنى: دائرة المعارف الإسلامية، مادة طريقة، مرجع سابق، المجلد الثاني عشر، ص١٥١.

([٣٥]) عبد المنعم الحفني: المعجم الصوفي، مصر، دار الرشد، بدون تاريخ، ص١٥٨.

([٣٦]) المرجع نفسه، ص١٥٨.

([٣٧]) سورة الأحقاف: آية ٣٠.

([٣٨]) سورة الجن: آية ١٦.

([٣٩]) سورة الجن: آية ١١.

هذا كل ما يتعلق بتعريف الطريق والطريقة، بقي أن نتعرف على الأسباب والظروف التي أدت إلى بروز الزاوية الطرقية، وهي مرتبطة أشد الارتباط بظهور الطرق الصوفية وتعددها.

كيف جاءت فكرة الطرق الصوفية، أو الطريقة في حد ذاتها؟

جاءت فكرة الطرق الصوفية عندما كان التيار الصوفي في الإسلام، يتبنى اتجاها روحيا يحاول أن يجعله منهجا تطبيقيا يتفاعل مع شتى نواحي الحياة الإسلامية، وقد حاول التصوف أن تكون له فلسفة تربوية تقوم على قطع العلائق في المجتمع، وإعلاء الجانب المثالي على صورة تتمثل في الزهد الشديد المنظم، ومن هنا حاول أوائل الصوفية أن يؤسسوا مدارس لهم، لتعليم هذه الفلسفة على صورة عملية[٤٠].

هكذا بالفعل تكونت ولأول مرة الطرق الصوفية في الإسلام، وأصبحت بالتالي بمثابة المدارس التي يتلقى فيها السالكون آداب التصوف علما وعملا، والزاوية الطرقية ظهرت كنتيجة طبيعية لتعدد الطرق، والمدارس السالفة الذكر، بل وتعدد المشائخ قبل كل شيء، حيث أصبح لكل شيخ أذكاره، وأفكاره، ونشاطاته الدينية التي تختلف عن الآخر، والمهم في الأمر أن الزاوية الطرقية قد انتشرت بشكل واسع، واكتسحت الأرياف والمدن، نظرا لإدارتها الفردية أو العائلية من جهة، وقدرة الزاوية أيضا على التأطير الطرقي من جهة أخرى، أكثر من مؤسسة الرباط التي تعتبر مجالا مفتوحا للجميع، وظهور هذا النوع من الزوايا جعل مؤسسة الرباط تتقلص وتختفي شيئا فشيئا، وسنلاحظ من خلال تتبعنا لهذا النوع من الزوايا أنها أصبحت معفية من الأتاوات والضرائب المفروضة من الدولة الحاكمة آنذاك، وهذا امتياز تمتعت به هذه الزاوية، وكان لكل زاوية الأموال الكثيرة التي كانت تقسم بالتساوي على أولاد شيخ الزاوية، بل حتى الإناث منهم أي المرأة الصالحة كان لها قسط، ومنفعة من هذه الأموال، مما ساعد أتباع الزاوية وورثة الشيخ على القيام بشئون الزاوية، ورعايتها، وصيانتها، وأداء الالتزامات الدينية فيها[٤١].

ومن الملفت للنظر أن الطرق الصوفية كانت موجودة قبل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ولم يؤسس صوفية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وأولياؤه آية طريقة من الطرق التي تنتسب إليهم، وتحمل اسمهم، والبعض يتوهم أنها ظهرت في عهدهم، ولكن لا نستطيع أن نتجاهل الظروف التي توفرت لهذه الطرق، وهذا النوع من الزوايا فترة الدراسة من القرن السابع إلى التاسع الهجري/ الثالث عشر إلى الخامس عشر الميلادي، والمتمثلة في توفر وسائل البروز والاستمرار، كظهور الولي الملهم مثلا، والنواة الصلبة من الأصحاب والأتباع، والتلاميذ، وبالتالي زاوية تنظم حولها عدد من الطقوس المسارية، والتعبدية بالإضافة إلى جملة من الامتيازات والإعفاءات الاقتصادية، وانتعاش ظاهرة التوكل على حساب ظاهرة

---

(٤٠) كامل مصطفى الشيبي: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، لبنان، دار المناهل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص١٧١.

(٤١) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن ٩هـ/١٥م، مرجع سابق، ج٣، ص٤٢-٤٣.

الكسب[٤٢].

ومن مميزات التصوف الطرقي في تلك الفترة، هو تميز الولي أو الصوفي في الزاوية الطرقية بطريقة خاصة في التسبيح والذكر، وهذا يعتبر عنصرا جديدا، وأحد المقومات الأساسية للتصوف الطرقي[٤٣].

علما أن كل طريقة صوفية كانت تعتمد للدلالة على شرعيتها، وصحتها على مجموعة من العلماء والصالحين يتصلون بالرسول ρ، كالقادرية مثلا، فالواضح أن الطرق الصوفية حتى وإن اختلفت في ترتيب أفراد سلسلتها تنتهي جميعها إلى الرسول ρ، باعتباره مصدرا من مصادر الشريعة الإسلامية، ولكن بعد ما ذكرنا معنى الطريقة، وفكرتها كيف جاءت، فهل كل زاوية يمكن أن نسميها زاوية طرقية، وهل كل زاوية يمكن أن تكون مقرا للطريقة؟

لا نستطيع أن نقول إن كل الزوايا طرقية، لأن بعض الزوايا اقتصر دورها على تحفيظ القرآن الكريم، وتقديم بعض الخدمات الاجتماعية[٤٤].

ومن الأسئلة المهمة الجديرة بالطرح في هذا الجانب "الزاوية الطرقية" هي: مم تتكون الزاوية الطرقية، وما هي أبرز إطاراتها وعناصرها؟

انقسمت الزاوية الطرقية إلى إطارات وعناصر مختلفة كل حسب وظيفته، واتفقت كل الطرق الصوفية على ثلاثة عناصر تكوينية تمثلت في:

أ) الشيخ: وهو المربي والمرشد، وهو دليل السالك الذي لا غنى عنه، وهو الذي يحدد الطريق للمريد من أجل الوصول إلى الله على حد تعبير الصوفية[٤٥].

فالشيخ المسلم هو الذي سلك الطريق على يد شيخ واصل، واجتاز كل مراحل الطريقة، وعمل بالشريعة الإسلامية، وللشيخ داخل الزاوية الطرقية الدور الرائد في تعليم وهداية مريديه وطلابه، وطاعته كانت واجبة على المريد[٤٦].

فابن قنفذ يقول: "إن الأصل البدار إلى الهداية بكتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام، والتعاون على ذلك، على يد من شاء الله تعالى من الأشياخ المهديين المعلمين"[٤٧].

---

(٤٢) نللي سلامة العامري: الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لأفريقية في العهد الحفصي، بيروت، لبنان، دار الفارابي، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة (الجمهورية التونسية)، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ص٥١٩.

(٤٣) نللي سلامة العامري: المرجع نفسه، ص٢٢٧.

(٤٤) التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (١٨٨١-١٩٣٩م)، تقديم رشاد الإمام، تونس، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، جامعة منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص٣٠.

(٤٥) عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية، مصدر سابق، ص٣١٦.

(٤٦) عامر النجار: مرجع سابق، ص٥١-٥٢.

(٤٧) أحمد بن حسين بن علي بن القنفذ القسنطيني (٨١٠هـ/١٤٠٨م): أنس الفقير، تحقيق محمد العماسي وأدولف فور، الرباط، ١٩٦٥م، ص٦١.

وهذا يعني أن المريد والطالب داخل الزاوية لابد له من شيخ ومعلم متمكن يهتدي على يديه ويتعلم منه، ويجب أن يكون مطيعا له، وذلك لأن التصوف في الزاوية الطرقية يقوم على مبدأ الإخوة من أفراد الطريقة، أو بين المريدين، وعلى طاعة الشيخ، واتباع نصائحه وإرشاداته[٤٨].

والشيخ في الاصطلاح الصوفي: هو الإنسان البالغ في العلوم الثلاثة التي هي علم الشريعة، والطريقة، والحقيقة إلى الحد الذي من بلغه كان عالما ربانيا مربيا هاديا مهديا مرشدا إلى طريق الرشاد، معينا لمن أراد الاستعانة به على البلوغ إلى رتب أهل السداد، وذلك بما وهبه الله مع العلم اللدني الرباني والطب المعنوي الروحاني[٤٩].

وقال الكاشاني، وهو أحد أصحاب المعاجم الصوفية: "الشيخ هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة، البالغ إلى حد التكميل فيها، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدواتها، ومعرفة بدنها وقدرته على شفائها، والقيام بهداها إن استعدت ووقفت لاهتدائها"[٥٠]. ويشترط في الشيخ أن يكون عالما بالكتاب والسنة، متحليا بأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام[٥١].

المقدم: وهو ممثل شيخ الطريقة في إحدى زواياه، وهو يتولى هذه الخطة بأمر من الشيخ، بعد أن يحصل على "الإجازة"، وهي عبارة عن تفويض لممارسة مهامه، يمنح له من الشيخ لدى أتباع الطريقة بالزاوية الملحق بها، حيث يعرف هذه الإجازة بالمقدم، وهي تحدد سلسلة الطريقة، وذكرها، وأسلوب تلقينه للأتباع، وتنتهي الإجازة عادة بمجموعة من النصائح تنص على التقوى، وطاعة المقدم من قبل الأتباع، ويصبح هذا النوع من الزوايا مع مرور الوقت تجمعا بشريا له جميع المقومات الفكرية، والإدارية، والاقتصادية أيضا[٥٢].

المريد: هو من انقطع إلى الله تعالى عن نظر واستبصار، وعلامة المريد أن وجدانه في القرآن، ففيه كل ما يريد أن يتعلم، ولابد من توفر ثلاثة شروط أو أصول يعمل بها: إخلاص العبودية لله تعالى لقوله تعالى: {فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَأَلاَ للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}[٥٣].

ثم الصدق، لقوله تعالى: {فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ}[٥٤].

ثم الصبر، لقوله تعالى: {اصْبِرُوا وَصَابِرُوا}[٥٥].

العهد: وهو الذي يربط بين الشيخ والمريد، وهي علاقة متبادلة بين الطرفين، وكنوع من التعاقد الذي يربط المريد بالشيخ، ويؤسس علاقة متينة متفق على كل الأمور فيها[٥٦].

([٤٨]) إبراهيم حركات: مرجع سابق، ج٣، ص١٦٥.

([٤٩]) عبد الرازق الكاشاني: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، تحقيق سعيد عبد الفتاح، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م، ج٢، ص٤٥-٤٦.

([٥٠]) عبد الرازق: معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العال شاهين، القاهرة، طبعة دار المنار، ١٩٩٢م، ص١٧٢.

([٥١]) إمحمد المنالي الزبادي: سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، مصدر سابق، ص٦٧.

([٥٢]) التليلي العجيلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية، مرجع سابق، ص٣٣.

([٥٣]) سورة الزمر: آية ٢-٣.

([٥٤]) سورة محمد: آية ٢١.

([٥٥]) سورة آل عمران: آية ٢٠٠. وحول الشروط المذكورة في المتن راجع: إمحمد المنالي: مصدر سابق، ص٧٥.

والعهد أيضا هو البيعة، والعهد هو أوثق رباط بين رجلين فردين تحابا في الله، وتعاهدا على طاعته... إنها بيعة لله وفي الله وبالله"[٥٧].

لقد شكل الشيخ والمريد أهم العناصر والإطارات داخل الزاوية الطرقية، فما هي طبيعة العلاقة بينهما؟ وهل كان لهذه العلاقة شروط محددة تحكمها؟

اختلف رواد الزاوية الطرقية ومريدوها ما بين زهاد وحجاج وطلبة، كل حسب طريقته الخاصة في تكوين المريدين، ولكل طريقة مجاهداتها ورياضاتها الخاصة من: "صلوات، وأذكار، وقراءات، ودعوات وتأملات ومحاسبات وتهجدات، وخلوات"[٥٨].

ففي هذه الزوايا كان الشيخ يلقن مريديه وطلابه بعض التعاليم الصوفية، كالصبر والتوبة، والإرادة، والزهد، والشكر.. بالإضافة إلى نصائح أخرى كان الشيخ يسديها للمريدين، من مجاهدات دينية، وتلاوة الأوراد، والأذكار، والأدعية، وكل ذلك لا يخرج عن نطاق الشريعة الإسلامية[٥٩].

إن البداية لدى المريد أو الطالب عندما يعزم على اتباع طريقة صوفية ما، أن يأتي إلى الزاوية، ويسلم نفسه للشيخ "شيخ الطريقة"، ويبايعه وتكون هذه البيعة، أو المبايعة بأن يلبس الخرقة[٦٠](المعروفة بخرقة مشائخ الصوفية)، ولبس الخرقة هنا هو علامة التفويض والتسليم، حيث يذكر السهروردي إن الخرقة تعني المبايعة، والخرقة هي عتبة الدخول في الصحبة، والمقصود الكلي هو الصحبة، وفي الصحبة كل خير للمريد[٦١].

والخرقة عند الصوفية نوعان: خرقة الإرادة، وخرقة التبرك، والخرقة التي فضلها المشائخ للمريدين هي خرقة الإرادة، أما بالنسبة لخرقة التبرك فهي للمتشبه[٦٢].

والصحبة هي أن يدخل المريد تحت حكم الشيخ ويتأدب بأدبه، ويعتبره كالسراج الذي يقتبس منه، والمستودع النفيس الذي يرجع إليه، وتحدث بين الشيخ والمريد علامة ألفة ومحبة،

---

(٥٦) إمحمد المنالي: المصدر نفسه، ص٩٣.

(٥٧) عامر النجار: مرجع سابق، ص٦٢.

(٥٨) الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مؤسسة جواد للطباعة، ط٣، ١٩٨٧م، ص٣٨٣.

(٥٩) الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، المرجع نفسه، ص٣٨٤.

(٦٠) الخرقة: كان أوائل الصوفية يلبسون لباس الصوف الخشن عدة سنين، ويرقعونه، واستمر هذا الأمر عند الغالبية، حتى أصبح لفظ الخرقة والمرقعة من المصطلحات ذات المدلول المشترك، ووضعت عدة كتب حول الخرقة، فالهجويري يقول: "كتبت كتابا مفصلا في ها الموضوع عنوانه أسرار الخرق والمرقعات، وعلى المريد أن يحتفظ لنفسه بنسخة منه". محمود عبد الرازق الرضواني: كفاية الطالبين، القاهرة، مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، الدور العلمية الرابعة، المجلد الأول، ص٥٠١.

(٦١) شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي الشافعي (٥٣٩-٦٣٢هـ): عوارف المعارف، اعتنى به وحققه أبو سهل نجاح عوض صيام، القاهرة، دار المقطم، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ص١٠٨.

(٦٢) السهروردي: عوارف المعارف، المصدر نفسه، ص١١٢.

علما أن لبس الخرقة هو من السنة، ولكن ليس بالهيئة التي وجدت لاحقا بعد زمن السرول ρ، ولكن بالهيئة التي اعتمدها الشيوخ فيما بعد[٦٣].

وفي الزاوية الطرقية منهج متبع، وهي منهجية موجودة في كل الطرق الصوفية تقريبا، ففي البداية يؤخذ العهد على المريد، وبعد ذلك يمضي المريد فترة من الزمن في الطريقة حتى يكمل، ويمنح بعد هذه المدة إجازة الطريق، والتي تعطى له من شيخ الطريقة، والإجازة عبارة عن شهادة تحتوي تاريخ الطريقة وأسانيدها، وهي دلالة على أن المريد أصبح قادرا على إرشاد غيره من المريدين، وإعطائهم العهود، وقد اختزلت الطريقة بأن اقتصرت وانحصرت بالإضافة للشهادة الممنوحة للمريد السالفة الذكر، إلى عهد بين الشيخ والمريد على التوبة والاستقامة[٦٤].

وإذا كان المريد وطالب الزاوية الطرقية مخلصا في عبادته، ومشغولا بالله سبحانه وتعالى، فإن الشيخ يطعمه من مال الزاوية، وهو نظام كان متبعا في مؤسسة الرباط سابقا، حيث يعمل ويخدم الطالب الفقراء والزوار الذين يرتادون الزاوية، ويكون ما يأكله مقابل خدمته تلك[٦٥].

أما فيما يتعلق بآداب العلاقة بين الشيخ والمريد، فقد أجمع علماء التصوف، وفي مقدمتهم القشيري على أن حالة المريد مع شيخه، يجب أن تكون كالميت بين يدي غاسله، لا يتكلم، ولا يعترض، ولا يمتنع عن شيء أمره به أمرا أو نهيا، ولا يفعل المريد فعلا، ولا يبرم أمرا إلا بإذن الشيخ وبمشورته، وفي موضع آخر يقول القشيري: "ومن خالفه في نفس واحد سرا أو جهرا خلاف ما يفعله بعض المنسوبين في وقتنا، يتجردون السياحة[٦٦] من غير إذن ويتخذون الخلوة والزاوية، ويجمعون عليهم الناس في مواضع الشهرة، وكل ذلك من غير إذن وإنما هم من عند أنفسهم"[٦٧].

هناك وجهة نظر مشابهة للقشيري في هذا الجانب علاقة الشيخ بالمريد، حيث ترى امتثال المريد لأوامر شيخه، فلا يعترض عليه، وإن ظهر خلافه، ولا يخالفه ولو في قلبه، وأن يجتنب النهي وإن كان فيه حتفه، وأن يحفظ حرمته بقدر الإمكان، وبدون تقصير، وأن يكون علمه وعقله ورئاسته متماشية مع شيخه، وأن يلازم المريد خدمة للشيخ وطريقه في كل شيء

---

(٦٣) المصدر نفسه، ص١١٢.

(٦٤) السهروردي: المصدر نفسه، ص٤٦.

(٦٥) المصدر نفسه، ص١٢٩.

(٦٦) السياحة: يطلق هذا المصطلح على طلبة العلم المتصوفة السائحون في طلب العلم، ولقاء المشائخ، وورد هذا في القرآن الكريم في قوله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ من سورة التوبة: آية ١١٢، كما ورد أيضا قوله تعالى عن المؤمنات: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾ سورة التحريم: آية ٥، كما كان لهذه الكلمة معنى ومضمون آخر عند المتصوفة، فالسائحين والسائحات، أي الصائمين والصائمات، وأيضا السائحون بقلوبهم قبل التفكير في أسرار الكون وملكوته. القشيري: مصدر سابق، ص٨-١٠.

(٦٧) الرسالة القشيرية، المصدر نفسه، ص٥٨١-٥٨٦.

الأمر والنهي، ويستعين المريد بالإخوان في الإنصاف والنصيحة لأن صحبة المشائخ هي عبادة الله، واتباع لما يأمر به الله عز وجل من الطاعات والنهي عن المعاصي[٦٨].

ويجب على المريد الحذر وعدم الاغترار بصحبة الشيخ، والانتساب إليه من غير عمل، ويجدر بنا ونحن نتحدث عن آداب المريد مع شيخه، وعلاقته به أن نذكر ما قاله الشيخ الجزولي[٦٩] في آداب المريد مع شيخه، وحدد هذه الآداب في عشرين حالة، وهي كالآتي:

في حالة الجلوس خمسة، وخمسة في حالة الغيبة عن الشيخ، وخمسة في حال ذكره، وخمسة في حال محبته، ووضحها كالتالي:

أ) خمسة في حال الجلوس: وتتمثل في: السكينة، والوقار، والهيبة، والحياء، والخوف.

ب) خمسة في حال الغيبة عنه وهي: المراقبة ونحوها،والافتقار إليه، والتواضع والاستمساك بعنايته، والمداومة على ذكر فضائله في قلبه.

ج) خمسة في حال ذكره: وحددها في النظر إليه، والرجاء فيه، والانتصار ببركته، والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة.

د) خمسة في حال المحبة: وجعلها في مروءة الحب والشوق، والحما نحوه، والهيج والاندمال من الاشتياق إليه، تأدبه مع شيخه كأنه تأدب مع ربه، وحرمة الشيخ على المريد، كحرمة النبي ρ مع أصحابه، وتتوطد العلاقة بين الشيخ والمريد بالمحبة الصادقة والتوقير[٧٠].

ويمكن أن نضيف إلى هذه الآداب السابقة النقاط التالية:

١) ألا يكتم المريد عن شيخه أي سر، حتى إن كتمه عن الناس جميعا، بل حتى أنفاسه لا يكتمها على حد تعبير المتصوفة، وهو أمر مبالغ فيه.
٢) أن يرضى بأي عقوبة يفرضها عليه شيخه.
٣) لا يصح للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين، لأن ذلك حسب اعتقادهم تضييع لحقوق الله تعالى، في الوقت الذي يتجاوز فيه الشيخ حدوده، على المريدين التغاضي عن أخطائه وزلاته، وذلك بحجة أنه رفعت عليه الكلفة، وهذا التناقض بعينه[٧١].
٤) يرون أن من الفوائد والإيجابيات سماع المريد لنصائح شيخه، فإن معنى ذلك أنه حقق هدفا كبيرا في التربية الروحية، حيث يذكر: أن المريد يصبح محبا للخير بالنسبة لجميع الناس، إلا لنفسه حيث يقول الشعراني:

"من علامة انتفاع المريد بشيخه أن يصير يعتقد في الناس كلهم الخير، إلا نفسه فلا يكاد يرى في أحد نقصا، وإذا سمع أحد ينقصه لم يتغير منه شعرة، بل يرى ذلك المنقص له صادقا فيما قال"[٧٢].

---

(٦٨) إمحمد المنالي الزبادي: مصدر سابق، ص٧٥.

(٦٩) الشيخ الجزولي: صاحب الطريقة الجزولية المعروفة في تونس، وهو أبو عبد الله محد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي، ينتمي إلى قبيلة جزولة، وهي قبيلة أمازيغية، درس الفقه والعربية والحساب بفاس وتلمسان ومراكش وتونس حيث التقى بالبرزلي العالم المعروف، واتجه للقاهرة ومكة. إبراهيم حركات: مرجع سابق، ج٣، ص١٧٢-١٨٢.

(٧٠) إمحمد المنالي: مصدر سابق، ص٧٦-٧٨.

(٧١) القشيري: مصدر سابق، ص٣١٦.

ورغم مساوئ بعض الشيوخ في الزوايا الطرقية، وسلبياتهم أو انحرافاتهم، إلا أن الباحثين في مجال التصوف يرون أن شيخ الطريقة لابد منه، لأن التقوى على حد اعتقادهم غير معلومة للعامة، ولابد لها من عالم بالله وبطريقته يرجع إليه في معالمها[٧٣].

إن الشيخ والمريد كلاهما محتاج إلى مرجعية، وشيخ يأخذون عنه العلم ويعلمهم، والمشيخة هي من الأمور الضرورية، فالنبي عليه الصلاة والسلام أخذ عن جبريل، والصحابة أخذوا عنه، والتابعون أخذوا عن الصحابة[٧٤].

يتضح من خلال ما كتب حول الزاوية الطرقية أن الشيخ فيها شيخان: شيخ تعليم وتربية، وشيخ تعليم بلا تربية، وشيخ التربية ليس بالضروري لكل سالك، فمثلا كتب التصوف لا تقبل من أي شيخ، إلا إذا كان من أهل العلم والمعرفة، وينفع أن يكون قدوة لمريديه وطلابه بالفعل[٧٥].

هناك بعض الآراء تقول: إن النظام الطرقي قد تأثر بالسلك التنظيمي للحركة الإسماعيلية، حتى عن مراتب الصوفية كانت كالآتي: من القطب إلى الوتد إلى البدل إلى المريد، تقابلها عند الشيعة مقامات الإمام، وداعي الدعاة، والنقيب، والتابع، علما بأن هذه الظاهرة التنظيمية، والاستسلام للشيخ قد نشأت في البلاد العربية[٧٦].

من التساؤلات المثارة حول الزاوية الطرقية، هل تصوف الطريقة في حد ذاته تصوف خارجي منقول، ونتيجة تأثيرات خارجية، كالتأثير الإيراني مثلا؟ وهل كان هذا النوع من التصوف موجودا في ديانات أخرى غير الإسلام؟

إذا نظرنا أو رجعنا إلى نشأة الطرق الصوفية بالنسبة للهيكلية المعروفة حاليا، سنجد أنها ترجع إلى أبي سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني، ظهر سنة ٤٣٠هـ، وهو أول من وضع الهيكل التنظيمي للطرق الصوفية، وجعله متسلسلا حسب الوراثة، وكانت البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وانتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فبالتالي ظهرت العديد من الطرق الصوفية، فكانت القادرية في مقدمة هذه الطرق، وهي تنسب إلى عبد القادر الجيلاني، وظهر غيرها من الطرق، وانتقل بعد ذلك إلى الأندلس[٧٧].

وهناك رأي يقول: إن تصوف الطريقة كان موجودا في الأصل في القرآن والسنة، وكان يعني التزهد مع التعبد، فالعديد من الآيات القرآنية تنهى عن الاغترار بشهوات الدنيا، وتدعو للعبادة والذكر، والاستعداد للحياة الأخرى، وربما كان للتأثير الإيراني الفارسي وقعه فعلا عندما

---

(٧٢) عبد الوهاب: لطائف المتن والأخلاق، القاهرة، مكتبة عالم الفكر، ١٩٧٦م، ص٧.

(٧٣) محمد يوسف السنوسي: نصرة الفقير، حققه جمال الدين بوقلي حسن، ضمن أطروحته: الإمام ابن يوسف السنوسي، وعلم التوحيد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص٢٣٤.

(٧٤) أحمد زروق: قواعد التصوف، تحقيق محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، ص٦٥ وما بعدها.

(٧٥) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، فاس، مطبعة الشافعة، ج١٢، ص٢٩٥.

(٧٦) محمد إسماعيل: دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، طبع سيناء للنشر، ص٧١.

(٧٧) محمود عبد الرازق الرضواني: كفاية الطالبين، مرجع سابق، المجلد الأول، ص٦٤١-٦٤٢.

تحول التصوف إلى شيخ ومريدين، وأحزاب خاصة، وذكر وألحان ترديد، ودخل فيها أيضا الرقص، فكل هذه مؤثرات ومظاهر خارجية دخلت على التصوف، والتي منها أيضا ما يعرف بالمقامات، وأحوال، وأفكار في المحبة والفناء والتوبة والإحسان...إلخ رغم أنه يستند في تفسيره على القرآن والسنة، وبهذا الشكل أصبح للفكر الصوفي صبغته الفلسفية، وأصبح يسلم للشطحات، وغيرها من الظواهر المستحدثة، والغريبة في بعض الأحيان عن الإسلام، ورغم ما سبق ذكره إلا أنه يبقى تصوف الطريقة موجودا في ديانات سابقة كالمسيحية والبوذية، وحتى القرآن الكريم قد ذكر الرهبان، وديانة عيسى عليه السلام أكثر من مرة[٧٨].

مادام التصوف الطرقي قد تأثر بمؤثرات خارجية، فهل كانت هناك زوايا أو طرق صوفية متطرفة ومنحرفة، وأخرى معتدلة في منطقة المغرب الأدنى خلال الفترة من القرن السابع – التاسع الهجري/ الثالث عشر – الخامس عشر الميلادي؟

ذكر الونشريسي في حديث له عن التصوف في المغرب الإسلامي أن هناك نوعين من التصوف، أحدهما: هو الغالب، حيث يمتاز أصحابه بالتطرف في أفكارهم وطقوسهم، وإحداثهم للبدع المنكرة، والثاني: يتسم بالاعتدال والمساهمة في خدمة المجتمع المغربي. فبالنسبة للطرق الصوفية المتطرفة، أشار الونشريسي إلى قوم تسموا بالفقراء – أي المتصوفة – كانوا يجتمعون على الرقص، والغناء، فإذا فرغوا من ذلك أكلوا طعاما أعدوه للمبيت عليه، ثم يصلون ذلك بقراءة عشر من القرآن والذكر، ثم يبكون ويزعمون في ذلك كله إنهم على مقربة وطاعة، ويدعون الناس إلى الاقتداء بهم، ويطعنون على من لم يأخذ بذلك من أهل العلم، ويضيف بأن بعض النساء اقتفين أثرهم في ذلك[٧٩].

نستنتج مما أورده الونشريسي ظهور طريقة صوفية متطرفة في العهدين الحفصي والمريني، عرفت بالطريقة العكازية أو الفقرية، لأن أتباعها كانوا من الفقراء الذين تطرفوا في أفكارهم، حيث اشتهروا بالإباحية، وتحلي ما حرم الله، واتهموا بالزندقة، لإظهارهم الإسلام واستئثارهم الكفر[٨٠].

ومن جهة أخرى أشار الونشريسي إلى انتشار زوايا الصوفية أو المتصوفة والغرباء في شتى أنحاء المغرب، في أواخر العصر الإسلامي، في العهود الحفصية والمرينية، حيث كانوا يجتمعون فيها على الأكل والذكر، وانتشار الشعر، ثم يبكون ويشطحون طوال الليل، ويقوم بعضهم بالرقص حتى يقع مغشيا عليه، ومن الملاحظ أن زوايا الصوفية المتطرفين، ومواضع اجتماعهم كانت تتركز غالبا في الحصون، والقرى البعيدة عن الحواضر، وهم يوهمون العامة من النساء أن هذه الطريقة التي يتبعونها هي طريقة أولياء الله[٨١].

أما فيما يتعلق بالمتصوفة المعتدلين، فقد وجدت جماعات منهم في بعض البلدان المغربية، وكانوا منقطعين للعبادة من صلاة، وصوم، وتلاوة القرآن، وتعليم أبناء المسلمين،

---

(٧٨) إبراهيم حركات: مرجع سابق، ج٤، ص٥٦.

(٧٩) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، مصدر سابق، ج١١، ص٣٠-٣٤.

(٨٠) المعيار، المصدر نفسه، ج٢، ص٥١١.

(٨١) المصدر نفسه، ج١١، ص٤٢-٤٣.

والسعي في قضاء حوائجهم، ورعاية الأيتام والأرامل، والمساكين، والإصلاح بين المسلمين، وكان يرأس كل جماعة من تلك الجماعات شيخ طريقة، يمتاز بالعلم والورع، وكان يجتمع بمريديه في المولد النبوي، وغيره من المناسبات الدينية للوعظ والتذكير، وإنشاد الأشعار في مدح النبي ρ، وقد استحسن أهل الفتوى في المغرب تلك الطريقة المعتدلة[٨٢].

الخاتمة

تتمثل خلاصة هذا البحث المصغر في النقاط المحددة التالية:

١) إن تنوع الآراء والأفكار الصوفية أدى إلى تكاثر مشائخ الصوفية، وأصبح لكل منهم أوراده وأذكاره الخاصة به، وهذا الاختلاف بينهم أدى إلى تعدد الطرق الصوفية، والذي بدوره ساعد على ظهور الزاوية الطرقية.
٢) إن الزاوية الطرقية تعد من أهم أنواع الزوايا وذلك لأنها ساهمت مساهمة كبيرة في نشر الإسلام أولا والتعليم الطرقي ثانيا والذي بدوره جعل العلم في متناول الطلبة والمريدين بمختلف أجناسهم سواء مغاربة أو أفارقة، حيث نلاحظ مثلا الدور الذي لعبته الزاوية القادرية في نشر الإسلام في أفريقيا، وأنحاء شاسعة من العالم الإسلامي.
٣) كانت الزاوية الطرقية أكثر الزوايا تنظيما وتقنينا، حيث كان للزاوية إطاراتها وبرنامجها الديني والتعليمي المنظم، ونستطيع القول إنها أسهمت بدور كبير في تأطير العملية الصوفية أو التصوف في حد ذاته، وجعلته منظما وعلما ذا أهمية.
٤) إن الزاوية الطرقية حافظت على حيويتها واستمراريتها، نتيجة لاعتمادها على طريقة بعينها، ونظام صوفي معين، ربما يختلف عن أنظمة الزوايا الصوفية الأخرى، فهي إذا أكثر الزوايا إفادة ونظاما، ولذا استمر حتى وقتنا الحالي.

---

(٨٢) المعيار، المصدر نفسه، ج١١، ص٤٦-٤٧.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: المصادر المطبوعة:

(١) (الجوهري) إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، الجزء السادس.

(٢) (الساعي) علي بن أنجب بن: المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة السليمانية، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

(٣) (السنوسي) محمد يوسف: نصرة الفقير، حققه جمال الدين بوقلي حسن، ضمن أطروحته: الإمام ابن يوسف السنوسي، وعلم التوحيد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

(٤) (السهروردي) شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد الشافعي (٥٣٩-٦٣٢هـ): عوارف المعارف، اعتنى به وحققه أبو سهل نجاح عوض صيام، القاهرة، دار المقطم، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(٥) (الشعراني) عبد الوهاب: لطائف المتن والأخلاق، القاهرة، مكتبة عالم الفكر، ١٩٧٦م.

(٦) (العطاس) السيد عبد الله بن علوي بن حسن: ظهور الحقائق في بيان الطرائق، مطبعة بكراز حسني، ١٢١٣هـ.

(٧) (القشيري) أبو القاسم عبد الكريم: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن شريف، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٤م.

(٨) (ابن القنفذ) أحمد بن حسين بن علي القسنطيني (٨١٠هـ/١٤٠٨م): أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق محمد العماسي، وأدولف فور، الرباط، ١٩٦٥م.

(٩) (الكاشاني) عبد الرازق: لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام، تحقيق سعيد عبد الفتاح، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٩٦م، الجزء ٢.

(١٠) (الكاشاني) عبد الرازق: معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبد العال شاهين، القاهرة، طبعة دار المنار، ١٩٩٢م.

(١١) (المقريزي) تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار صادر للطباعة، الجزء ٢.

(١٢) (الونشريسي) أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المعرب والجامع المغرب من فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، فاس، مطبعة الشافعة، الجزء ١٢.

(١٣) (ابن بطوطة): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له وحققه الشيخ محمد عبد المنعم العريان، راجعه وأعد فهارسه مصطفى القصاص، بيروت، دار إحياء العلوم، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، الجزء الأول.

(١٤) (زبادي) إمحمد المنالي (ت١٢٠٩هـ): سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، دراسة وتحقيق وتقديم نعيمة بنونة، وأحمد الشرقاوي، المغرب، مراكش، المطبعة الوراقة الوطنية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

(١٥) (ابن منظور): لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من الأساتذة المتخصصين، القاهرة، دار الحديث، الشركة الدولية للطباعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م، المجلد الرابع، الأحرف ر – ز – س.

(١٦) أحمد زروق: قواعد التصوف، تحقيق محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية.

ثالثا: المراجع العربية:

(١) إسماعيل، محمد: دراسات في الفكر والتاريخ الإسلامي، طبع سيناء للنشر.
(٢) باكير، حسين سالم أبو شوشة: الحالة الاجتماعية لمدينة طرابلس في العهد العثماني الثاني ١٨٣٥-١٩١١م (دراسة وصفية)، ١٩٩٦م.
(٣) جهان، علي محمد: الحياة الثقافية بمصراتة أثناء الحكم العثماني الثاني (١٨٣٥-١٩١١م)، الجماهيرية، مركز جهاد الليبيين، بنغازي، ليبيا، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٧م.
(٤) حجي، محمد: الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
(٥) حركات، إبراهيم: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن ٨هـ/١٥م، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١و.ر/٢٠٠٠م، الجزء الثالث "التصوف".
(٦) الحفني، عبد المنعم: المعجم الصوفي، مصر، دار الرشد، بدون تاريخ.
(٧) الدراجي، سعدي إبراهيم: زليتن دراسة في العمارة الإسلامية، الجماهيرية، منشورات القيادة الشعبية الاجتماعية، زليتن، الطبعة الأولى، ١٣٧١و.ر/ ٢٠٠٣م.
(٨) رزق، عاصم محمد: خانقاوات الصوفية في مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي.
(٩) الرضواني، محمود عبد الرازق: كفاية الطالبين، القاهرة، مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، الدورة العلمية الرابعة، المجلد الأول.
(١٠) الزاوي، الطاهر أحمد: مختار القاموس مرتب على طريقة مختار الصحاح المنير، الجماهيرية، الدار العربية للكتاب، ١٣٩٢-١٩٣٩هـ/١٩٨٣-١٩٨٤م، مطابع ماتيو كرومو، مدريد.
(١١) الشيبي، كامل مصطفى: صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، لبنان، دار المناهل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
(١٢) العامري، نللي سلامة: الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لأفريقية في العهد الحفصي، بيروت، لبنان، دار الفارابي، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة، الجمهورية التونسية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
(١٣) العجيلي، التليلي: الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (١٨٨١-١٩٣٩م)، تقديم إرشاد الإمام، تونس، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، جامعة منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م.
(١٤) علي، محمد كرد: خطط الشام، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الجزء ٦.
(١٥) العيدروس، محمد حسن: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث.
(١٦) مفتاح، محمد: التيار الصوفي، الجزء ١.
(١٧) موسى، تيسير: المجتمع الليبي في العهد العثماني، طرابلس، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٨م.
(١٨) النجار، عامر: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها (الرفاعي – الجيلاني – البدوي – الشاذلي – الدسوقي)، القاهرة، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

رابعا: المراجع المعربة:

(١) بل، الفرد: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، لبنان، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مؤسسة جواد للطباعة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية (مادة زاوية)، ترجمة محمد ثابت وآخرين، بيروت، دار المعرفة، المجلد العاشر.

(٣) ميسانا، ميسانا: المعمار الإسلامي في ليبيا، تعريب علي الصادق حسين، بيروت، دار الجيل، طرابلس، دار الرواد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

رابعا: المراجع الأجنبية:

(١) Vinent Monteil, Chronique de la Zaouiya d'Assa, in Melanges Mohammed El-Fasi.